معززات ومحبطات الإبداع الفني في المرحلة النمائية الثالثة (سن المراهقة) والمرحلة النمائية الرابعة (سن الشباب)

رامي نجيب حداد: قسم الدراما، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

تاريخ الاستلام: 13 /8/ 2008 **تاريخ القبول**: 8 /11/ 2009

ملخص

يهدف البحث إلى عرض معززات ومحبطات الإبداع الفني في المرحلة النمائية الثالثة (سن المراهقة) والمرحلة النمائية الرابعة (سن الشباب) من أجل اخذها بعين الاعتبار في العملية التعليمية. يتصل الإبداع الفني مع الكائن البشري منذ مرحلة الطفولة (المرحلة النمائية الأولى) أي منذ الولادة وحتى سن الشيخوخة (المرحلة النمائية الخامسة)، ويمر ذلك الكائن خلال فترة حياته بعدة مراحل نمائية لكل منها خصائصها وعناصرها ، محبطاتها ومعززاتها تبعا لسيكولوجية الكائن البشري في كل مرحلة. وتشكل المرحلة النمائية الثالثة (سن المراهقة) وكذلك المرحلة النمائية الرابعة (سن الشباب) أهم المراحل التي تتبلور خلالها السمات الإبداعية تبعاً لمستوى التعزيز أو الإحباط الذي يتعرض له المبدع في تلك المراحل، وعليه، فإن الإبداع يمكن صقله في هاتين المرحلتين بأسلوب يسمح للشخص أن يصل في إبداعه إلى المستوى المطلوب كما وقد يتعرض ذلك الشخص الى عملية طمس لابداعاته عن طريق مواجهة المحبطات. بناءً على ما تم طرحه سابقاً ، فإن ثقافة المجتمع والبيئة التربوية يفترض أن يتم تعريفها بتلك المعززات والمحبطات حتى يتسنى للآباء والبيئة المدرسية والجامعية بما تحتويه من أطر تعليمية أن تتفادى تلك المحبطات وتعمل على توفير تلك المعززات بالقدر المستطاع لتنشئة جيل قادر على الإبداع .

Encouraging and Frustrating Factors Leading to Artistic Creativity in the 3rd and 4th Stages of Growth (Teen and Youth)

Rami Haddad, *Department of Drama, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

Research Aim: This research aims to overview the Encouraging and Frustrating Factors leading to artistic creativity in the 3rd and 4th stages of growth (Teen and Youth) to be considered in learning and teaching processes. Artistic creativity is closely related to man from childhood (1st stage of growth) i.e. since birth, and continuous till old age (5th stage of growth), during that man, through his life, goes through several stages of growth each stage has its own characteristics and elements, frustrating and encouraging factors that are determined by man's psychology in every stage. The 3rd (Teen) and the 4th (Youth) stages of growth are the most important stages in which the inspiration of creativity is stimulated according to the level of enhancement or frustration that affect man's life during these stages. Therefore, creation can be shaped up in these two stages in a way that allows the person to reach the acceptable level of creation. On the other hand, creativity may cease if he encounters frustration. Based on the above, the community culture and the educational environment including parents, school and university should be introduced to the encouraging and discouraging factors in order to avoid any negative factors and enhance the supporting ones as much as possible to bring up a creative generation.

مقدمة

الإبداع الفني هو أحد مجالات الإبداع المتعددة الذي يتميز به بعض الأشخاص، وقد لا يجد ذلك الإبداع طريقة إلى النماء إذا لم يتم الاعتناء به وتوجيهه وتحفيزه وقد يندثر دون أن يلحظ أحد وجوده لدى ذلك الشخص القادر على الإبداع.

إن عملية النمو، التي تتميز بها جميع الكائنات الحية ومنها الإنسان تمر بمراحل ولكل مرحلة خصائصها وميزاتها التي تتشكل فيها الشخصية الإنسانية منذ مرحلة الولادة إلى مرحلة الشيخوخة بالنسبة للكائن البشري. وقد نجد تقسيما نمائيا مشابها لدى الحيوان والنبات، إلا أن ذلك التقسيم يختلف عنه عند الإنسان في أن الأخير قد ميزه الله عز

وجل بالعقل والتفكير الذي ينمو أيضا ويتطور أو يتغير مع مرور الكائن البشري في مراحل النمو المختلفة.

ليس ما ينمو في عقل الكائن البشري حجمه أو عدد خلايا دماغه فقط ، إنما تنمو مع ذلك الكائن خبراته التي يعوّل عليها كثيرا كلما تقدم به السن وكلما دخل مرحلة جديدة من مراحل النماء، ولذلك فان التعامل مع ذلك الشخص والدخول إلى شخصيته يصبح اكثر تعقيدا واكثر صعوبة كلما تكونت لديه خبرات جديدة ، فاقتحام تلك الخبرات لا يعد بالأمر السهل مع ازدياد حجمها وازدياد تأثيرها على السلوك الإنساني.

تعريف الإبداع

تعددت تعريفات الإبداع بين اعتباره شكلا من أشكال العبقرية أو اعتباره نتاج شخصية متكاملة أو هو موهبة متفوقة وغيرها من الاعتبارات والتعريفات، لذلك يستدعى الأمر عرض بعض التعريفات للتوصل إلى مفهوم عام لتعريف الإبداع الفني.

> يعرف شتاين (stein) الإبداع بأنه عملية ينتج عنها عمل جديد يرضي جماعه ما ، أو تقبله على أنه مفيد، ويعرفه كلوبفر (klopfer) بأنه استعدادالفرد لتكامل القيم والحوافز الأولية بداخل تنظيم الذات والقيم الشعورية، وكذلك تكامل الخبره الداخلية مع الواقع الخارجي ومتطلباته . ويرى تورانس وجماعته بأن الإبداع عملية يصبح الفرد بها حساسا للمشكلات والنواقص والفجوات في المعرفة والعناصر المفقودة وغيرها. أي تشخيص الصعوبة والبحث عن الحلول وعمل التخمينات وصياغة الفرضيات بخصوص النواقص واختبار الفرضيات وتعديلها أو إعادة اختبارها والوصول أخيرا إلى النتائج (صالح، 1986، ص 14).

إن مثل هذه التعريفات تتضمن دلالات محددة على صفات الإنسان الذي يمتلك القدرة على الإبداع ومن تلك الصفات الحداثة والحساسية للمشكلات والقدره على التشخيص والتخمين والتوصل إلى نتائج محددة .

ويندرج تحت تعريفات أخرى المزيد من صفات الشخص المبدع التي سيتم توضيحها لاحقا في السياق. فعلى سبيل المثال لا الحصر ، يعرف جلفورد (Guilfurd) الإبداع على انه القدرة على التفكير بشيء محدد بطريقة غير مالوفة وغير اعتيادية والخروج بحلول فريده للمشكلات ، وقد ميز جلفورد بين نوعين من التفكير وهما (Santrock, 2001, P. 14):

- التفكير التقاربي (Convergent thinking) ، ويعرفه جلفورد على أن نوع التفكير الذي يقوم به بإيجاد حل واحد صحيح للمشكلة أو السؤال المطروح ، وشخصية هذا النوع من التفكير تختص بالقدرات الذكائية والعقلية للشخص.
- التفكير التباعدي (Diverting thinking) ، وهو نوع التفكير الذي يسمح بإنتاج اكثر من حل أو إجابة للمشكلة أو السؤال المطروح وهو ما يخص الإبداع.

من تعريف جلفورد (Guilfurd) ، تظهر سمة جديدة للشخص المبدع وهي القدرة على تنوع الحلول للمشكلة التي تواجه الفرد أو التي يبحث فيها الفرد.

ويعرّف "كورانس" الإبداع بأنه عملية إدراك الثغرات أو الاختلالات في المعلومات والعناصر المفقودة والبحث عن دلائل ووضع الفرضيات واستخلاص القرائن والربط بين النتائج وإجرء التعديلات، ويضيف بأن العملية الابتكارية هي قدرة مركبة يمكن تحليلها إلى مجموعة قدرات فرعية هي؛ الطلاقة Fluency، والمرونة Flexibility، والأصالة Originality (طه، 1989، ص 136).

وبالرغم من تعدد تعريفات الإبداع ، فليس من الصعب التوصل إلى تعريف يشتمل معظم تعريفات الإبداع التي جاءت في السياق السابق ويصاغ التعريف على النحو التالي :

الإبداع؛ عملية يتم من خلالها التوصل إلى نتائج أو حلول جديدة قائمة على مفردات موجودة أصلا حيث يحس الشخص المبدع بتلك المفردات ويتنبه لوجودها فيصوغها بطريقة خاصة للخروج بتلك النتاجات أو الحلول للمشكلات.

فالإبداع عملية منظمة، بالرغم من أنها عملية لا تتقيد بحدود، وذلك لأنها تتطلب بذل جهدٍ في ترتيب الأمور وقياسها بدقة وعناية فائقة وجعلها تتفاعل مع الخبرة للتوصل إلى عملية تحقيق الإبداع. والابداع أيضا نتاج جديد أو حلول جديدة للمشكلات، وهذا ما يميزه عن التقليد أو المحاكاة ، فالمبدع لا يقوم باقتباس أو تقمص شخصية فنان عالمي وينتج نهجه للوصول إلى مستوى ذلك الفنان، وإنما قد يرى أحدى الصور الإبداعية في شخص لكنه يتماشى بخط مواز له لإحداث شئ جديد ليس له سابقة .

ومن الطبيعي أن تمر عملية الإبداع في مراحل تقود الشخص المبدع بتسلسل معين، حسبما يرى البعض، إلى إحداث أو خلق ابداعاته ، وقد درس والآس (Wallas) عام 1926 المراحل الإبداعية ولخصها في أربع مراحل (صالح، 1986، ص ص 80 - 84):

أولا: مرحلة التهيؤ والأعداد Preparation

في هذه المرحلة يقوم الشخص بتفحص المشكلة أو الموضوع قيد البحث ، فيكتسب من خلال هذه العملية خبرات ومهارات جديدة ، وفي هذه المرحلة تتم عملية تفتح البدايات فيذهب الشخص للكشف عن العلاقات بين عناصر مختلفة في المشكلة أو الفكرة، وقد يؤدي التطرق إلى البحث من نواح مختلفة إلى ظهور ما يشبه العشوائية، فليس سهلا أن يتم كشف الأمور من المنظور الأول للخروج بما هو جديد.

ويدعم هذه المرحلة عمليات المناقشة مع أصحاب الخبرة، وينصح علماء النفس بالابتعاد أحيانا عن التركيز الذهني في المشكلة لكي لا يحدث توتر وانحصار فكري، لكن هذا الابتعاد لا ينصح بإجرائه لدى قليلي التجربة في العملية الإبداعية ، فالمبتديء كطالب المدرسة مثلا أو حتى الطالب في الجامعة يعمل كلما وجد الرغبة وعلية أن يتجه إلى خلق مناخ عمل مناسب ليتسنى له التفكير بشكل إبداعي، وهذه المهمة توكل بشكل اكبر للقائمين على تربية ورعاية المبدعين سواء من الأهل ، المدرسة ، الجامعة ، أو أي مؤسسة تقوم على رعاية الإبداع ، وحتى الأصدقاء.

ثانيا مرحلة الاختمار Incubation

وهنا تختمر الفكرة لدى المبدع بعد أن محّصها وجاهد للوصول إلى حل للمشكلة أو الخروج بإبداع أدبي أو فني جديد، فيصل المبدع إلى أقصى درجات القلق والتوتر، وتزداد الفوضى والعشوائية لديه ليشعر بعدم الاستقرار. وتختلف اختلاف المدة الزمنية بين مبدع وآخر وذلك باختلاف الموضوع والمشكلة وطريقة التفكير ومستوى الذكاء، إلا أنه للوصول إلى إطار واضح المعالم لا بد أن تتبلور القراءات والمعلومات في صورة محددة فتتكشف لديه العلاقات بين العناصر والأشياء التي قد تبدو للآخرين غير مرتبطة وبعيدة عن الاتصال .

ثالثا : مرحلة التجلي Illumination

والتجلي حسب تعريف الحفني (الحفني، 1995، ص ص 28-29) هو المرحلة التي يكون فيها المبدع قادرا على استبصار الحل وإدراكه ، ويدخل في نشوة غريبة يتريث فيها المبدع ويرتاح بعد عناء التفكير، فبعد التهيئة والأعداد ثم الاحتضان والإختمار، ترتسم الأمور في إطار واضح وتتجلى عملية التحليل ويتم صياغة الإبداع الجديد، فالتجلي أو لمعان الفكرة لا يأتي بلحظة، بل يمر قبلها المبدع بمعاناة مع حوادث نفسية تسبق ظهور التنوير ولكن بعد أن تأتي هذه العملية يشعر المبدع بالثقة والاطمئنان.

رابعا : مرحلة التحقيق Verification

هذه المرحلة هي الأخيرة، وهي مرحلة هامة جداً، حيث يصل المبدع إلى حل المشكلة والخروج بالإبداع بإكتشافه الشيء الجديد في مرحلة التنوير، وهنا عليه التحقق من صدق ما توصل إليه من أفكار بتجربتها ومقارنتها

بمعايير الإبداع وفي هذه المرحلة أيضاً، يتم تنقيح العمل الإبداعي وصقله. ومن الجدير بالذكر هنا أن عملية الإبداع تعتمد على النواحي الكيفية وليس الكمية بشكل أساسي ، فإبداعات شكسبير في مسرحياته تأتي من حيث تنوع تلك الأعمال وموضوعاتها وأفكارها أكثر من أن يكون الإبداع في عدد المسرحيات التي كتبها.

ويرى بعض من علماء النفس أنه ليس بالضرورة أن تأتي المراحل المذكورة سابقاً بالتسلسل المذكور وذلك تبعاً لاختلاف العمل الإبداعي، ويرى الآخرون أن تلك المراحل تأتي أحياناً متشابكة ومتداخلة أو قد تسبق احداها الآخرى وان تقسيم تلك المراحل هو لمجرد التبسيط والدراسة.

أن دراسة الإبداع الفني تفتح الآفاق أمام دراسة العديد من الأمور المتعلقة بعملية الإبداع، فبالإضافة إلى دراسة تعريفات الإبداع يجدر بنا دراسة الصفات التي يمتاز بها المبدع عن غيره كما يجدر بنا أيضاً دراسة مراحل الإبداع تبعاً لمراحل نمو الشخص المبدع.

علاقة الإبداع بالفن

يرتبط الإبداع بالفن ارتباطاً وثيقاً، فالمبدع لديه قدرة على القيام بمهارات فنية متميزة ولديه قدرة على الالتزام والمثابرة، وهو ما يتطلبه العمل الفني عادة، وقد اعتبر كل من ديهان (Dehann) و وهافيجهيرست (Havighurst) الطفل الموهوب هو الطفل الذي لديه قدرات عقلية شاملة لعدة جوانب منها القدرة الموسيقية والفنية، وقد تبنى هذا الاتجاه في تعريف الموهبة العديد من العلماء أمثال سمبتون ولوكنج ولوسيتو وجيلفورد وغيرهم (الروسان، 2001، ص 59).

ويربط فرويد بين الإبداع الفني والصراع الذاتي الذي تحدث عنه إريك إريكسون في نظرياته كمرحلة من مراحل النمو الأساسية، ويرى فرويد أن اللاشعور هو المصدر الحقيقي للفن حيث أنه – أي اللاشعور - هو مصدر الإلهام وبالتالي مصدر الإبداع الفني (دالبيير، 1984، ص 381). ويرى الجشتالتيون Gestalt أن الإدراك الحسي هو أساس في العملية الفنية، وقد قامت جين راين Jaine Rhyne بتطبيق نظرية الجشتالتيين وأكدت في كتاب لها بعنوان The Gestalt Art Experience أن الأطفال هم الجشتالتيون الحقيقيون لأنهم يعيشون حاضرهم ويعطون كامل انتباههم لما يفعلون، كما أنهم يستقون خبراتهم من تجاربهم، ويقوم الأطفال عادة بمحاولة لكسر الخوف وإدراك الذات وإطلاق انفعالاتهم وبالتالي يصلون إلى مرحلة الإبداع (صالح، 1986، ص 24).

صفات المبدعين:

يرى العديد من علماء النفس أن للمبدعين صفات يتميزون بها عن غيرهم، ورغم تفاوت تلك الصفات فيما بين المبدعين أنفسهم، إلا أنها أي تلك الصفات تعتبر من الخصائص الأساسية التي يتميز بها الإنسان المبدع، وهذه الصفات يمكن ملاحظتها بسهولة خصوصاً عند طلبة المدارس والجامعات؛ وأهم تلك الميزات ما يلي : (صالح، 1986، ص ص 56-57).

أولاً - الحساسية Sensitivity : وتعني قدرة المبدع على الإحساس بالمشاكل والحاجات والاتجاهات والمشاعر بطريقة خاصة تجعله يتعامل مع الأشخاص الآخرين بطريقة حاذقة.

وافترض جليفورد طرق مختلفة لإظهار عامل الحساسية للمشكلات مثل الشعور بالحاجة إلى التغيير أو إلى إيجاد حلول جديدة لمشكلة ما أو شعور بوجود عيب أو نقص في الأشياء بالإضافة إلى الإحساس العام بالمشكلة (عثمان، 2000، ص 135).

ثانياً - الأصالة Originality: الشيء الأصيل هو الشيء الذي لم يؤخذ عن نسخة سابقة عنه، فالمبدع لا يكرر أفكار الآخرين أو المحيطين به، كما أنه ينفرد بالشيء الجديد الذي ينتجه سواء كان حلاً للمشكلة أو إبداعاً أدبياً أو فنياً وما شابه، فالجديد والمتميز هو ما يرضى به المبدع ولا يقبل بغيره.

ثالث - الطلاقة Fluency : الطلاقة هي القدرة على الإنتاج الكمي الكبير في زمن محدد، على أن تكون تلك المنتجات ذات قيمة وحداثة ، فهو أي المبدع يقدم أفكارا جديدة وذات قيمة في وحدة زمنية محددة ، ولا يعني ذلك أن المبدع يخضع لعامل الوقت ، بل أن يكون قادرا على إنتاج أفكار وحلول في وحدة زمنية بشكل يفوق الأشخاص العادين .

رابعا - المرونةFlexibility : الشخص المرن هو الشخص القادر على التكيّف مع البيئة الجديدة بسرعة وكفاءة وهو قادر على التأقلم مع المرافق الجديدة ، فهو قادر على النظر في المسألة المحددة من وجهات نظر بأسلوب تعديلي، أي انه يعّدل وجهة نظره لكي يعدل من سلوكه بما يتفق مع الحل السليم.

خامسا - القدرة على التجريد Ability to abstract : هذه العملية تعني القدرة على تحليل الأشياء إلى عناصرها لكي يتسنى فهم العلاقات التي تربط عناصر الموضوع ودراسة كل عنصر على انفراد وفهم كيفية ارتباط تلك العناصر ببعضها.

سادسا - القدرة على التركيب Ability to synthesize: تتمثل هذه العملية في قدرة الشخص المبدع على مزج العناصر مع بعضها للوصول إلى «الكل» فهو بالإضافة إلى قدرته على التحليل والتجريد ، قادر على العملية العكسية لذلك .

سابعا - مهارة إعادة التحديد Redefinition Skill: هذه العملية تعني القدرة على إعادة تنظيم الأمور بما تتضمنه من أفكار ومفاهيم وأشخاص تبعا لمنهجية محددة تؤول إلى التوصل لحلول وفهم منطقي للأمور .

بالإضافة لهذه السمات أو الميزات التي يمتاز بها الشخص المبدع فان الثقة العالية والاعتمادية على النفس وقوة العزيمة والإرادة وتحمل المسؤولية والابتعاد عن الروتين وحب المغامرة والقدرة على الإقناع، كلها أمور تلازم شخصية المبدع وتجعله يمتاز أيضا بروح مرحة منفتحة ذات خيال واسع .

بعد أن تم التطرق إلى دراسة سمات الشخص المبدع يمكننا الآن دراسة المراحل التي يمر بها المبدع تبعا للمراحل النمائية لأي كائن بشري.

مراحل الإبداع تبعاً لمراحل النمو:

يمر الشخص المبدع بعدة مراحل نمائية يطور من خلالها معارفه وقدراته ليصل إلى مراحل متقدمة من الإبداع، ولكل مرحلة نمائية ميزاتها وصفاتها، بالإضافة إلى وجود معززات ومحبطات يجب دراستها لكي يتسنى تعزيز الشخص في مراحل الإبداع المختلفة، وتجنب عملية إحباطه في تلك المراحل، مما يساعد الأهل والقائمين على عملية تربية المبدع ورعايته في كثير من الأمور التي تؤدي بالمبدع إلى أفضل إنتاج إبداعي لديه، وسيقوم الباحث بدراسة المرحلتين النمائيتين الثانية والثالثة فقط، أما باقي المراحل فسيتم الاقتصار على تعدادها دون الخوض في التفاصيل.

يقسم غالبية علماء النفس مراحل النمو إلى خمس مراحل وهي كالتالي (أسعد، 1984 ص ص -197 218):

أولاً - مرحلة الطفولة المبكرة (الأولى) : تمتد هذه المرحلة من الولادة إلى سن الخامسة تقريبا وتسمى مرحلة «الخربشة»، حيث يعمد الطفل إلى تجربة اليدين والأصابع في التأثير على البيئة المحيطة فهو يحب أن يرى الأثر الذي يتركه على الأشياء التي يلمسها أو يمسك بها، كما أنه يحاول اكتشاف العالم من حوله ويسعده التعامل مع الكتل الملموسة التي يمكنه ترك الأثر عليها.

ثانياً - مرحلة الطفولة الثانية أو المرحلة النمائية الثانية : وتمتد من سن السادسة وحتى سن العاشرة تقريبا، في هذه المرحلة تظهر عند الطفل بعض الرموز بعد اعتماده على «الخربشة»، فيوجه ذاته من مجرد ترك الأثر إلى التعبير عما يريد الإفصاح عنه فيلجأ إلى وضع خطوط وألوان ورموز معبرة ويميز بين الآلات والألوان والأصوات، ويمكنه التحكم بعضلاته، فيمكنه البدء في العزف على آلات معينة ويتفتح خياله بشكل ملحوظ.

ومما يميز هذه المرحلة هو قدرة الطفل على خلق نغمات جديدة ذات إيقاع رتيب يكرره دون ملل وقد يلجا للضرب على أية آلة يعتبرها إيقاعية ويحاول التحكم في صوته ، فتارة يجعله غليظا وتارة رفيعا هكذا، تشد انتباه الطفل في هذه المرحلة كل الآلات ذات الصوت الصادح والمرتفع مثل الآلات الإيقاعية وآلات النفخ النحاسية.

ثالثا - مرحلة المراهقة أو المرحلة النمائية الثالثة: تمتد من سن العاشرة وحتى سن العشرين تقريبا، وسيتم التركيز على هذه المرحلة والمرحلة النمائية الرابعة في هذا البحث.

رابعا - مرحلة الشباب أو المرحلة النمائية الرابعة: وتمتد من سن ما بعد العشرين وحتى نهاية الثلاثين تقريبا، وتعتبر من أهم المراحل، حيث تتبلور فيها سمات الشخص المبدع وتستقر.

خامسا - مرحلة الكهولة أو المرحلة النهائية الخامسة: وهذه المرحلة تعتبر مرحلة الإنتاج والعمل الإيجابي مقابل المراحل الأربعة السالفة الذكر، وهذا ما يميز هذه المرحلة عن غيرها من المراحل السابقة، فتلك المراحل تعد مراحل أعداد وترسيخ للسمات الإبداعية وبالمقابل تعتبر هذه المرحلة مرحلة بلورة تلك السمات والإبداعات في إنتاج ثابت ومستقر نسبيا .

تبدأ مرحلة الكهولة في سن الأربعين وتستمر حتى سن الستين وإذا نظرنا إلى معظم الفنانين والمبدعين، فإن جل إبداعهم قد ظهر في هذه المرحلة، ولا يعني هنا تحديد سن الستين على أنه بعد ذلك لا يعد الشخص مبدعا، وإنما يعني بأن عطاء الإنسان بشكل عام يتجلى في هذه المرحلة حيث يكون عطاؤه مكثفاً ومتجدداً وهي صفة من صفات الإبداع ، وبعد دخول الشخص في سن ما بعد الستين يتراجع في الغالب ذلك الكم الإبداعي من الإنتاج إلى كم اقل فتتراجع بذلك الطلاقة الإبداعية لديه .

ويشار هنا إلى أن هناك تقسيمات أخرى لمراحل النمو وقد اختلف العلماء في تحديدها وتبقى تلك التقسيمات اعتبارية تهدف إلى تسهيل البحث العلمي والتطبيق العملي لعلم نفس النمو، والجدول التالي يبين تقسيم آخر لمراحل النمو (زهران، 1999 ص 84)

جدول (1): يبين تقسيم لمراحل النمو

الرقم	المرحلة	العمر الزمني
1	ما قبل الميلاد	0 – الميلاد
2	المهد	الميلاد – أسبوعين / وليد أسبوعين – عامين/ الرضاعة
3	الطفولة المبكرة الطفولة الوسطى الطفولة المتأخرة	3 – 5 سنوات 6 – 8 سنوات 9 – 11 سنة
4	المراهقة المبكرة المراهقة الوسطى المراهقة المتأخرة	12 – 14 سنة 15 – 17 سنة 18 – 21 سنة
5	الرشد	22 – 60 سنة
6	الشيخوخة	60 - الموت

أما إيريكسون فيصنّف مراحل التطور النفسي للإنسان في ثمانية مراحل، وقد تم توضيحها في الجدول رقم (2) (,P. 263 Baltus, 1997)

جدول (2): يبين تصنيف إيريكسون لمراحل التطور النفسي

الرقم	المرحلة	الصراع الأساسي	الفئة العمرية
1	الحضانة	الإحساس بالثقة في مقابل عدم الثقة	من الولادة حتى 18 شهر اً
2	الروضة	الإحساس بالاستقلال مقابل الخجل	18 شهراً الي 3سنوات
3	قبل المدرسة	المبادرة مقابل الإحساس بالذنب	3-5 سنوات
4	المدرسة الابتدائية	بالكفاية مقابل الشعور بالدونية	6 – 11 سنة
5	المراهقة	الإحساس بالهوية مقابل اضطراب الدور	12 – 18 سنة
6	النضج الأولي	الإحساس بالألفة مقابل الإحساس بالعزلة	19 – 40 سنة
7	النضج المتوسط	الأنتاجية مقابل الركود	40 – 65 سنة
8	النضج المتأخر	تكامل الذات مقابل الإحساس باليأس	65 - الموت

معززات ومحبطات الإبداع في المرحلتين النمائيتين الثالثة والرابعة:

لقد جاء النظر بالتركيز على هاتين المرحلتين النمائيتين في هذا البحث من منطلق أن تدريب المبدع في هذه المراحل يؤثر بشكل واضح في إنتاجه الإبداعي من الناحية الكمية وأيضا من الناحية النوعية ، بالإضافة إلى أن ارتباط الإبداع بالعمل التربوي في المدرسة والجامعة أو المعهد يمكنه أن يوفر عناصر قادرة على القيادة بشكل متفوق بحيث يمكن الإستفادة من المبدعين، واستغلال طاقاتهم واستعداداتهم، وكل ذلك يتوقف على مدى التقدم الاجتماعي التربوي ورقيه وتفهمه لماهية ومعززات الإبداع بالإضافة الى فهم الأمور التي تؤدي الى إحباط الإبداع.

أولاً : معززات ومحبطات الإبداع في المرحلة النمائية الثالثة «المراهقة»

يتصف المبدع في هذه المرحلة بنضوج الصور الجمالية لديه، وينمو خياله وتنمو قدرته على تركيب الصور مما قد اكتسبه من خبرات في عقله الباطن، وتعمل تلك الخبرات والصور على فرض نفسها على المبدع فيتأمل فيها طويلاً ويتجسد عنده الصوت والصورة لتلك الخبرات والذكريات، وفي الوقت ذاته يحاول المبدع معرفة المجهول وتجربة كل شئ جديد فيثور على من أبدع من قبله ويستهين به ومع ذلك يحاول البحث عن مثل أعلى لديه يتتبع خطاه، فما هي تلك الأمور التي تعمل على تحفيز العملية الإبداعية في هذه المرحلة؟

بعد الرجوع الى آراء بعض المتخصصين من علماء النفس والباحثين في العملية الإبداعية يمكن إجمال معززات الإبداع في هذه المرحلة فيما يلي:

1 - وضع المبدع في بيئة تقدر إبداعه وتعطية الحماس الكافي ويكون ذلك بتوفير الأتراب المناسبين له ممن يقومون بتقدير أعماله واعطائها أهمية، فالمراهق المبدع يهتم كثيرا بآراء أترابه وتعني إهتماماتهم عنده الشيء الكثير كما يعنيه رأيهم فيما يقوم به من أعمال وإبداعات، ويحب أن يستمع منهم إلى المديح والثناء مما يعزز إستمراريته في العمل لخلق الإبداعات .

2 - خلق جو تنافسي لدى المبدع عن طريق وضع المبدع في بيئة لها اهتمامات مماثلة من مستويات مختلفة تحاول الوصول إلى مستوى إبداعي في مجال الفن أو الأدب الذي يهتمون به.

3 - وضع المبدع في بيئة قادرة على مده بالخبرة ، وأجدى ما يكون هو توفير المعلم المناسب القادر على مد المبدع بما يحتاجه من خبرات لتطوير قدراته الإبداعية، حيث يكون ذلك المعلم قادراً على التعامل مع المبدع بشكل معزز، ويأتي دور المعلم هنا في شرح أهمية المهارات التي يفترض أن يركز عليها المبدع بالإضافة إلى تعزيز إستراتيجية التفكير الإبداعي، وذلك بتوضيح العلاقات وكيفية ربط أجزائها والتعرف على افضل الخيارات

واتخاذ القرارات وغيرها من الأمور الهامة .

4 - تعريض المبدع للانفتاح على مصادر الإلهام والمعرفة مثل المتاحف والمعارض والحفلات الموسيقية وكل ما ينشر في الصحف والمجلات والكتب والمراجع فيما يتعلق بموضوع اهتمامه، مما يطلق أمامه فرصة التعرف على ما يستجد من إبداعات ليتعرف اين يقف هو من تلك الإبداعات.

5 - نقد أعمال المبدع بشكل موضوعي وحيادي ، فهو يهتم في هذه المرحلة بتلك الانتقادات اكثر من اهتمامه بالنصيحة والإرشاد فيبحث عمن ينتقده بموضوعية دون القسوة عليه إذ يشعر أن النقد يفيده في التوجه نحو الأفضل بشرط أن لا يشعر بأن النقد الموجه اليه هو استخفاف أو مجرد رأى شخصي وليس فيه سوى بيان وجهة نظر غير قائمة على الإطلاع والخبرة.

أما محبطات الإبداع في المرحلة النمائية الثالثة فيتم إجمالها بما يلي:

1 - في حين أن البيئة التي تقدر الإبداع عامل مهم في تعزيزه، فان حرمان المبدع من تلك البيئة له اثر سلبي في إحباط الإبداع لديه ، فالمبدع يحتاج كما ذكر إلى الحماس وبدونه فان إبداعه ينضب ويتحول إلى محاولات محبطة تنتهي إلى التخلي عن العملية الابداعية، وبذلك تكون البيئة غير المبالية بالإبداعات الشخصية بيئة تؤدي الى إنطفاء الإبداع وإنصراف المبدع الى أمور أخرى ليس لها علاقة بإهتماماته حيث يشعر أن كل ما يفعله لا يلاقي الإستحسان والثناء.

2 - حرمان المبدع من المصادر الإبداعية نتيجة عدم الاكتراث أو عدم توفر النواحي المادية يؤدي إلى إحباط الإبداع، حيث لا يجد ذلك المبدع المصدر المادي الذي يدعمه لكي ينطلق في إبداعه بقوة وحرية حركة وثقة في مصادر الدعم التي توفر له الخامة الأساسية للعمل.

3 - جهل المعلم والمربي بأساليب ووسائل تنمية الإبداع واللجوء إلى أسلوب التلقين بدل توجيه المبدع إلى كيفية التفكير وربط العلاقات والاستفادة من العلوم والأخرى في مجال الابداع، ومن أبرز الأمور التي يفترض التركيز عليها هي تعلم أسلوب حل المشكلات الذي يوفر للمبدع القدرة على إكتساب المرونة وإكتساب ما يسمى بأسلوب التساؤل المنظم الجريء.

4 - إبراز الجوانب السيئة في العمل الإبداعي وجوانب الضعف بشكل يطغى على التوجيه الناقد، حيث أن إبراز الجوانب الضعيفة لا يعزز الإبداع، فالمبدع بحاجة إلى التوجيه من الشخص الذي يعلمه كيف يضع قدميه على الطريق الصحيح، كما أن الإكثار من عملية النقد تحبط المبدع وتجعله يتخلى عن مشروعه وتفقده الثقة بنفسه، فعملية النقد يجب أن تكون قائمة على أن تضع المبدع في موقع إعادة التصويب بطريقة عملية وفاعلة.

إن التركيز على معززات الإبداع في هذه المرحلة ومحاولة تجنب محبطاته يؤدي إلى إيجاد عدد أكبر من الطلبة في المدارس قادرين على التفكير الإبداعي، فالتفكير الإبداعي يمكن تعلمه كما يمكن التدرب على أسلوب حل المشكلات من خلال تعلم كيفية استخدام إمكانياتنا العقلية بشكل أكبر فاعلية، إننا نستطيع أن نعلّم أبناءنا المبدعين كيفية إدراك العلاقات والروابط بشكل أفضل من غيرهم ممن يعجز عن ملاحظتها (P. 152 Baltus, 1997,).

ثانيا : معززات ومحبطات الإبداع في المرحلة النمائية الرابعة «الشباب».

تعتبر هذه المرحلة، مرحلة الاستقرار الإبداعي، اذ تأخذ الملامح الإبداعية شكلها النهائي ولا يعود هناك مجال كبير لإحداث تغيير في شخص المبدع ، فالجدار السميك من الخبرات التي تسلح بها المبدع في المراحل النمائية الأولى وحتى الثالثة يصبح صعب الاختراق ، وتعتبر تلك الخبرات عامل قوة منيعاً يمنح المبدع القدرة على اختيار وسائل التعبير الإبداعي المناسبة كما ويمنحه القدرة على اختيار منهجية ثابتة تميزه عن سواه، فهذه المرحلة تعتمد اعتمادا أساسيا على ما تم اختزانه من خبرات في المراحل السابقة والتي تعتبر من عوامل القوة الأساسية للإبداع المكتسب.

بيد أن هناك معززات لهذه المرحلة لا بد أن تتوفر للمبدع لكي يستمر في ابداعه ، ويرتقي به إلى المستوى المطلوب وتلك المعززات هي:

1 - توفير الوقت والإمكانيات للتركيز على جانب متخصص في الإبداع، إذ يفترض أن يركز المبدع أغلب جهده وطاقته في إحد المجالات المحددة، وفي نفس الوقت يفترض أن يبقى على اتصال مع باقي المجالات المتعلقة بموضوع إبداعه .هذا الجانب يتطلب توفير الوقت والإمكانيات لذلك المبدع للتركيز على الجانب الذي يستهويه، فالعملية الإبداعية تتطلب السهر والعناء والمثابرة والجلد من قبل المبدع ، إذ إن انقطاعه عن التفكير بسبب عدم توفير الوقت والإمكانيات يؤدي به إلى التشتت وعدم الاسترسال في الأفكار التي تعطيه إمكانية التواصل مع العمل الإبداعي بالإضافة إلى حاجة المبدع إلى التجربة واعادة التجربة، فالعديد من الموسيقيين الذين يكدون على التأليف في قالب موسيقي معين لا يتمكنون من الخلاص إلى الشكل النهائي المرضي إلا بعد خوض تجارب عديدة للوصول إلى مبتغاهم .

2 - إتاحة المجال للمبدع للإعلان عن ذاته، فلم يعد المبدع في هذه المرحلة بحاجة إلى أترابه ممن يشجعونه للقيام بالعمل الإبداعي والى من يوجه له النقد البناء ، فقد تميز في جانب إبداعي له فيه شخصيته الخاصة وهويته المحددة وفلسفته الفنية ذات الملامح الخاصة ، فالخبرات والمهارات التي اكتسبها هي سلاح من المعرفة تعزز ابداعاته وتعطيه الثقة لتقديم نفسه.

أما الشخصية التي اعتبرها مثلا أعلى له فلم يعد بحاجة إليها بل هو بحاجة إلى تجريد نفسه من كل المؤثرات التي جمعها في مراحله السابقة واخذ خلاصتها والإنطلاق في عالم خاص به لكي يصل إلى مستوى الشخصية التي اعجب بها أو الشخصيات التي حظيت باهتمامه، فيكون متوازيا معها وليس متلاصقا بها أو دونها .

3 - تلاشي وضع المبدع تحت الضغوط النفسية وتوفير المناخ المناسب له، وهناك نوعان من المناخ وهما المناخ المحيط بالمبدع أو المناخ الخارجي، ويعتبر من العوامل الهامة في إنتاجه الإبداعي والذي يؤثر على نفسيته، أما النوع الآخر فهو المناخ الداخلي وهو مفهوم الشخص نفسه للمناخ الخارجي والذي يتفاعل مع شخصيته، وقد رصد «مجلس الأمن الوظيفي السويدي» عشرة أبعاد تتعلق بالمناخ الإبداعي وهي (Scritchfield, 1999, P. 3):

(1) التحدي والدوافع

(2) الحرية

(3) النشاط

(4) الثقة والانفتاحية

(5) وقت الفكرة

(6) المرح والدعابة

(7) الصراع

(8) دعم الفكرة

(9) الجدل والمناقشة

(10) المخاطرة

هذه الأبعاد إذا ما تم دعمها وتقديمها فإنها تعمل على تحسين المناخ الإبداعي للشخص المبدع. والبعد الوحيد الذي يؤثر سلبا على الإبداع هو بعد الصراع ، فكلما زاد الصراع قلت احتمالات الإبداع . وبالرجوع إلى باقي الأبعاد التسعة فان تأثير بعضها لا يقتصر فقط على الإبداع في المرحلة، وانما تتماشى تلك الأبعاد مع باقي المراحل أي من المرحلة النمائية الأولى وحتى المرحلة الخامسة (مرحلة الكهولة) وأهمها الحرية والنشاط والثقة ودعم الفكرة الإبداعية.

النقاط الثلاث السالفة الذكر تعتبر معززات الإبداع في هذه المرحلة وسوف يتم الآن التطرق إلى محبطات الإبداع في هذه المرحلة والتي تتلخص فيما يلي:-

محبطات الإبداع في المرحلة النمائية الرابعة:

1 - التدخل في العمل الشخصي للمبدع وعدم السماح له بالاستقلاليةٍ، ففي حال فرض التدخل الشخصي في عمل المبدع وإنتاجه ، فإن المعايير الجمالية والسمات الشخصية للعمل الإبداعي تتأثر بشخصية وأراء الشخص المتدخل مما يمسح صفة أساسية من صفات الإبداع وهي صفة الأصالة في العمل الإبداعي والتي تعني أن ذلك العمل ليس تقليدا ولم يتأثر بأي شخص.

وكثيرا ما نجد من المربين والمعلمين والمحاضرين ممن يحاولون التدخل وفرض ما يرونه مناسبا بحجة أنهم يستسيغون العمل المنتج بشكل آخر أو يرغبون في تعديل الأمور حسب ما يرونها أفضل، مما يؤدي إلى إحباط المبدع الذي أخرج العمل ، حيث يفقد الثقة بنفسه في إخراج عمل يرى هو انه متكامل ، لكن هذا التأثير يضعف كلما زادت ثقة المبدع بنفسه وكلما كثرت لدية التجارب وتوسعت الخبرات والمدارك ، فعندها يدافع عن عمله بشراسة ويحاول منع تدخل مثل هؤلاء المربين.

2 - نقص الموارد والإمكانيات، فعندما يواجه المبدع صعوبات في إخراج عمله الإبداعي نتيجة نقص الموارد والإمكانيات فانه ينصرف إلى عمل شيء آخر يتوافر لديه إمكانياته ومواده ولربما لا يستهويه هذا العمل لكنه ينصرف إلى العمل في المجال الجديد لما يتوفر لديه من الإمكانيات والموارد،وهنا تصبح القناعة التي هي جزء من العمل الإبداعي وشرط من شروط نجاحه بعيدة عن المبدع، فيغدو عمله مجرد روتين أو تقليد أو سد حاجة مؤقتة أو حتى لملء وقت الفراغ لكي لا يقع في حالة من التوتر والعصبية لعدم تمكنه من الإستمرار في المجال الذي يستهويه ويجد فيه إبداعاته.

النتائج والتوصيات

استنتج الباحث من خلال مراجعته لتعريفات الإبداع والمراحل التي يمر بها الفرد للوصول إلى الإبداع ما يلي؛

1 - إن عملية الإبداع تتضمن الالتزام من المربين تقديم الدعم والمساعدة للمبدع في مراحله العمرية المختلفة.

2 - تعمل الأسرة والأقران والمؤسسات التعليمية والثقافية دوراً بارزاً في تنمية إبداع الفرد، كما يمكن أن يكون لها دور سلبي في حال انعكافها عن تعزيز الإبداع.

3 - يساعد تعزيز الإبداع منذ مراحل النمو الأولى في خلق أطفال مبدعين سيما في مجال الفنون وعليه يوصي الباحث بما يلي؛

1 - ضرورة تزويد المربين سواء من أفراد أسرة الفرد ، أو أقرانه، أو القائمين على المؤسسات التعليمية والثقافية بالمهارات اللازمة للعناية بالمبدع في كافة مراحل الإبداع.

2 - ضرورة العناية بالمبدعين من مراحل النمو الأولى وتقديم الدعم والتعزيز ليتسنى لهم إظهار إبداعاتهم.

3 - إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات العلمية حول الإبداع لدى الأطفال والشباب في الوطن العربي وعلى المستوى المحلي للتوصل إلى معرفة أكثر دقة في تحديد العوامل المساعدة في الإبداع.

الخلاصة:

ينبغي على المربين والمعلمين سواء كانوا في المدرسة أو الجامعة أو الأهل في المنزل الإنتباه الى أبنائهم والنظر الى إهتماماتهم ورغباتهم بشكل جاد، فالطفل أو المراهق أو الشاب لديه إهتمامات قد تكون بعيدة عن إهتمامات ورغبات الأهل والمربين، لكنها في الوقت ذاته قد تكون من الأمور الأساسية التي يبرز من خلالها إبداع ذلك الطفل أو الشاب، كذلك فإنه من الجدير بالمربين والأهل ومن مختلف مواقعهم وعلى إختلاف ثقافتهم الإهتمام بالأمور التي

تهم أبناءهم وطلبتهم ومحاولة تعليمهم كيف يبدعون، وحيث أن فاقد الشيء لا يعطيه، فإن على هؤلاء المربيين إمتلاك مهارات تعليم الإبداع من خلال التثقف والإطلاع على المصادر التي تمدهم بالطرق التي تساعدهم في تعليم أبنائهم التفكير الإبداعي.

تعتبر عملية تعليم الإبداع من الأهداف التعليمية الهامة والتي تنمي وتحفز الإبداع لدى الطلبة في المدارس والجامعات كما أنها تحفز عملية " العصف الفكري " وتوفر للطالب بيئة تحاكي الإبداع ولا تعمل على السيطرة على الطالب، كما أنها تحفز الدوافع الداخلية وتعزز التفكير المرن والمرح "Playful thinking "، وتقوم بتقديم الطالب لأشخاص مبدعين وهي تقوم بوظيفة النموذج الإبداعي للطالب (Santrock, 2001, P. 143).

إن دور المؤسسة التربوية سواء كانت المدرسة أو الجامعة ودور البيئة المحيطة من أهل وأصدقاء وزملاء في تحفيز الإبداع وإزالة العقبات من خلال توفير المعززات وتجنب المعيقات والتغلب عليها له دور أساسي في تنمية التفكير الإبداعي وإتاحة الفرصة لمخرجات إبداعية من الطلبة سواء في سن المراهقة أو الشباب تتسم بتوافقها مع الحالة الإبداعية القصوى، لكي يتحقق الإبداع لابد أن يقوم على أسس سليمة وأن يحقق الصفات الإبداعية بالقدر المستطاع، فقد نجد لدى أحد المبدعين في مجال معين كل سمات الإبداع عدا الطلاقة (على سبيل المثال)، فيكون إنتاجه إبداعياً لكنه بنفس الوقت شحيح الكم فلا يتعدى الإنتاج أو الإنتاجين أو بضع نتاجات معدودة في المجال الفني، ومع ذلك فإن ذلك الشح لا يعيب الإنتاج الفني ولا ينتقص من قدره، ولكننا نرغب دائما وفي حال إكتشاف حالة إبداعية في أن تكسب المجال الذي أبدعت فيه العديد والمزيد من ذلك النتاج المبدع، فإنتاج بتهوفن (Beethoven) من السمفونيات التي بلغ عددها تسعة لا ينتقص من قدره ولكن لو أن ظروف بتهوفن وحالته المادية والإجتماعية كانت أيسر مما نعرف لربما شهدنا وسمعنا له أكثر من ذلك الكم بكثير،

كذلك الأمر يغدو بالنسبة للأهل والأسرة الدور الأساسي الذي يشكل الإنطلاقة الحقيقية للمبدع، والذي يتمثل في توفير الخامات والتعزيز المعتدل وتوفير البيئة المناسبة للطفل والمراهق والشاب كلٌ حسب مرحلته العمرية وتبعاً لإهتماماته، فليس هناك من عمل إبداعي يمكنه الإستمرار بدون توفر الخامات الأساسية فيه وبدون تعزيزه بشكل سليم.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

أسعد، يوسف ميخائيل، 1984، **سيكولوجية الابداع في الفن والأدب**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

الحفني، عبد المنعم، 1995، **الموسوعة النفسية**- علم النفس في حياتنا اليومية، ط1 مكتبة مدبولي، القاهرة.

دالبيير، رولان، 1984، **طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية**، ترجمة الجمالي، حافظ، ط2، المكتبة العالمية للنشر والتوزيع، بغداد.

الروسان، فاروق، 2001، **سيكولوجية الأطفال غير العاديين** – مقدمة في التربية الخاصة، ط5، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان

زهران، حامد عبد السلام، 1999، **علم نفس النمو**، ط5، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة

صالح، قاسم حسين، 1986، **الإبداع في الفن**، دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

طه، فرج وآخرون، 1989، **معجم علم النفس والتحليل النفسي** – تفكير ابتكاري (التعريف - شاكر قنديل)، دار النهضة العربية - القاهرة

عثمان ، عبلة حنفي، 2000، **سيكولوجية الفن** – كلية التربية الفنية – جامعة حلوان، القاهرة.

المراجع الأجنبية

Baltus, Rita K. *personal psychology* – for life and work, McGraw – Hill – New York 4th edition 1997

Santrock, John W., *Educational Psychology*, McGraw Hill, Boston, U.S.A 2001.

Scritchfield, Michael lee, "The creative person, product, process, and press – the 4 P's", *The International creativity network,* Volume 6, number 1, Buffallo, N. Y. Bearly limited 1999.